الخُطَبُ المِنبَرِيَّةِ

فَضَائِلُ حُسنِ الخُلُقِ

أَبُو الحَسَن حُسَين عِلْمِي بَرْخَط العَرْمَوِيُّ الصُّومَالِيُّ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الخطبة الأولى

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظَّالمين.

أشهد أن لا إله إلا الله، إله الأولين والآخرين، وقيوم السَّموات والأرضين، ومالك يوم الدين.

وأشهد أن محمد عبد الله ورسوله، أمينه على وحيه، وخيرته من خلقه، المبعوث بالدين القويم، والمنهج المستقيم، أرسله الله رحمة للعالمين وإمامًا للمتقين.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠ - ٧١].

أَمَّا بَعْدُ؛ فَإِنَّ أَصْدَقَ الحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَخَيْرَ الهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ، وَشَرَّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلاَلَةٌ، وَكُلَّ ضَلاَلَةٍ فِي النَّارِ.

أيها المؤمنون عبادَ الله!، إنَّ لِحسن الخلق فضائلَ عظيمة جليلة، وسنقدِّمُ - بإذن الله - في خطبتنا هذه طرفًا من تلكم الفضائل، منها رحمكم الله:

١- حصرُ النبي - ﷺ - الرسالة بالخلق الحسن:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ»[1].

[1] . رواه أحمد (برقم: ٨٩٣٩) وصححه الألباني في صحيح الجامع (برقم: ٢٨٣٣).

٢- وأنَّه امتثال لأمر الله عز وجل:

قال تعالى: {خُذْ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنْ الْجَاهِلِينَ} [الأعراف: ١٩٩].

٣- وأنَّه طاعة للرسول ﷺ:

فلقد قال ﷺ: «اتَّقِ اللهَ حيثُما كنتَ، وأتبعِ السَّيِّئةَ الحسَنةَ تَمْحُها، وخالِقِ النّاسَ بخُلُقٍ حسَنٍ»[١].

٤- وأنَّه اقتداء بالرسول ﷺ:

فلقد كان عليه الصلاة والسلام أكرم البشرية أخلاقًا، وأزكاهم نفسًا، وهذا الأمر مستفيض في كتب السيرة والشمائل فداه أبي وأمي.

وَاللهُ – ﷻ – يقول: {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ} [الأحزاب:٢١].

٥- وأنه رفعة في الدرجات:

عن أمّ المؤمنين عائشة – رضي الله عنها –: «إنَّ العَبْدَ لَيُدْرِكُ بِحُسْنِ خُلُقِهِ دَرَجَةَ الصَّائِمِ بالنَّهار القَائِمِ باللَّيلِ»[٢].

٦- وأنَّه زيادة في الإيمان:

عن أبي هريرة – رضي الله عنه – أن النبي – ﷺ – قال: «أَكْمَلُ المؤمنين إيمانًا أَحْسَنُهم خلقًا»[٣].

٧- وأنَّه أعظم ما يُدخل الجنة:

---

[١] . أخرجه الترمذي (١٩٨٧)، وأحمد (٢١٣٩٢) وحسنه الألباني في صحيح الترغيب (٣١٦٠).

[٢] . رواه أحمد (برقم: ٢٤٣٥٥)، وأبو داود (برقم: ٤٧٩٨)، وصححه الألباني في الصحيحة (برقم: ٥٢٢).

[٣] . أخرجه أبو داود (٤٦٨٢)، والترمذي (١١٦٢)، وصححه الألباني في صحيح أبي داود (برقم: ٤٦٨٢).

عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «أكثرُ ما يُدْخِلُ الناسَ الجنَّةَ تَقْوى اللهِ وحُسْنُ الخُلُقِ، وأكثرُ ما يُدْخِلُ الناسَ النارَ الفَمُ والفَرْجُ»[١].

٨- القرب من مجلس النبي ﷺ يوم القيامة:

عن جابر بن عبد الله - رضي الله عنه - أن النبي - ﷺ - قال: «إنَّ مِن أحبِّكم إليَّ وأقربِكُم منِّي مجلسًا يومَ القيامةِ أحاسِنُكم أخلاقًا»[٢].

٩- محبة الله عز وجل:

عن أسامة بن شريك - رضي الله عنه - كنا جلوسًا عند النبيِّ كأنما على رؤوسِنا الطيرُ ما يتكلمُ منا متكلمٌ إذ جاءه أناسٌ فقالوا: من أحبُّ عبادِ اللهِ إلى اللهِ؟ قال: «أحسنُهم خُلقًا»[٣].

«وإذا أحب الله يومًا عبده ... ألقى عليه محبة في الناس»[٤].

١٠- وأنَّه أثقل شيء في الميزان يوم القيامة:

وعن أَبِي الدرداءِ - رضي الله عنه: أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قَالَ: «مَا مِنْ شَيْءٍ أَثْقَلُ فِي مِيزَانِ العبدِ المُؤْمِنِ يَوْمَ القِيَامَةِ مِنْ حُسْنِ الخُلُقِ، وَإِنَّ اللهَ يُبْغِضُ الفَاحِشَ البَذِيَّ»[٥].

---

١ . أخرجه الترمذي (٢٠٠٤)، وابن ماجه (٤٢٤٦)، وأحمد (٢/ ٢٩١) باختلافٍ يسيرٍ، وصححه الألباني في الصحيحة (برقم: ٩٧٧).

٢ . أخرجه الترمذي (برقم: ٢٠١٨) وصححه الألباني في صحيح الجامع (برقم: ٢٢٠١).

٣ . أخرجه ابن ماجه (٣٤٣٦)، وأحمد (١٨٤٥٤) باختلاف يسير مطولاً، وصححه الألباني في صحيح الترغيب (برقم: ٢٦٥٢).

٤ . بهجة المجالس (٢/٦٦٤).

٥ . أخرجه: أبو داود (برقم: ٤٧٩٩)، والترمذي (برقم: ٢٠٠٢) وصححه الألباني في صحيح الترمذي (برقم: ١٦٢٨).

قال النووي – رحمه الله –: «(وَالبَذِيُّ): هُوَ الَّذِي يتكلَّمُ بِالفُحْشِ ورديء الكلامِ»[١].

١١– وأنَّه زيادة الأعمار وعمارة الديار:

عَنْ عَائِشَةَ: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَهَا: «إِنَّهُ مَنْ أُعْطِيَ حَظَّهُ مِنَ الرِّفْقِ، فَقَدْ أُعْطِيَ حَظَّهُ مِنْ خَيْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَصِلَةُ الرَّحِمِ وَحُسْنُ الْخُلُقِ وَحُسْنُ الْجِوَارِ يَعْمُرَانِ الدِّيَارَ، وَيَزِيدَانِ فِي الْأَعْمَارِ»[٢].

١٢– حصول الخيرية:

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، قَالَ: لَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاحِشًا وَلَا مُتَفَحِّشًا، وَكَانَ يَقُولُ: «مِنْ خِيَارِكُمْ أَحَاسِنُكُمْ أَخْلَاقًا» قَالَ ابْنُ نُمَيْرٍ: «إِنَّ خِيَارَكُمْ أَحَاسِنُكُمْ أَخْلَاقًا»[٣].

١٣– وأنَّه من خير أعمال العباد:

وَعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: «لَقِيَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم أَبَا ذَرٍّ، فَقَالَ: يَا أَبَا ذَرٍّ، أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى خَصْلَتَيْنِ هُمَا أَخَفُّ عَلَى الظَّهْرِ، وَأَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ مِنْ غَيْرِهَا؟»، قَالَ: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «عَلَيْكَ بِحُسْنِ الْخُلُقِ وَطُولِ الصَّمْتِ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، مَا تَجَمَّلَ الْخَلَائِقُ بِمِثْلِهِمَا»[٤].

عَنْ عَمْرِو بْنِ عَبَسَةَ – رضي الله عنه – قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَيُّ الْإِيمَانِ أَفْضَلُ؟، قَالَ ﷺ: «خُلُقٌ حَسَنٌ»[٥].

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

---

[١] . رياض الصالحين (ص: ٢١٥).

[٢] . أخرجه أحمد (برقم: ٢٥٢٥٩) وصححه الألباني في الصحيحة (برقم: ٥١٩).

[٣] . أخرجه البخاري (برقم: ٥٦٨٨)، ومسلم (برقم: ٢٣٢١).

[٤] . رواه أبو يعلى في مسنده (برقم: ٣٢٩٨) وصححه الألباني في الصحيحة (برقم: ١٩٣٨).

[٥] . رواه أحمد (برقم: ١٩٤٥٤) وانظر: الصحيحة (تحت حديث: ٥٥١).

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، الرَّحمن الرَّحيم، مالك يوم الدين، ثم الصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبيّنا محمدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين.

أمَّا بعدُ:

أيُّها المؤمنون عبادَ الله!

هناك سؤال يطرح نفسه، ألا وهو: عرفنا منزلة الخلق الحسن عند الله، فما الخلق الحسن؟

والجواب عنه أن نقول: كلُّ ما هو معروف ومُستحسَن في الشرع والعُرف هو حسن الخلق، وكل ما يستقبحه الناس عرفًا وشرعًا هو سوء الخلق.

«الخُلُقُ – بالضَّمِّ، وبضَمَّتيْنِ –: السَّجيَّةُ، وهُو مَا خُلِقَ عليهِ من الطَّبْع، وَمِنْه حَدِيثُ عائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: كانَ خُلُقُه القُرآنَ: أَي كانَ مُتَمَسِّكًا بهِ، وبآدابِهِ وأَوامِرِه ونَواهِيه، وَمَا يَشْتَمِلُ عَلَيْهِ من المكارِمِ والمَحاسِنِ والألطافِ.

وقالَ ابنُ الأعْرابِيّ: الخُلُقُ: المُرُوءةُ، والخُلُقُ: الدِّينُ... وحَقِيقَتُه أَنَّه لصُورَةِ الأنْسانِ الباطِنَةِ، وَهِي نَفْسُه وأوْصافُها، ومعانِيها المُخْتَصَّة بهَا بمَنْزِلَةِ الخَلْقِ لصُورَتِهِ الظاهِرَةِ وأَوْصافِها ومَعانِيها، وَلَهُمَا أوصافٌ حَسَنَةٌ وقَبِيحَةٌ.

والثوابُ والعقابُ يَتَعَلَّقانِ بأوْصافِ الصُّورَةِ الباطِنَةِ أَكْثَرَ مِمّا يَتَعَلَّقانِ بأوْصافِ الصُّورَةِ الظّاهِرَةِ»[1].

«وقَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ: حُسْنُ الْخُلُقِ أَنْ لَا تَغْضَبَ وَلَا تَحْتَدَّ.

[1] . تاج العروس (٢٥/٢٥٧- ٢٥٨).

- وعَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: حُسْنُ الْخُلُقِ أَنْ تَحْتَمِلَ مَا يَكُونُ مِنَ النَّاسِ.

- وقَالَ إِسْحَاقُ بْنُ رَاهَوَيْهِ: هُوَ بَسْطُ الْوَجْهِ، وَأَنْ لَا تَغْضَبَ.

- وَنَحْوَ ذَلِكَ قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ نَصْرٍ.

- وقَالَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ: حُسْنُ الْخُلُقِ كَظْمُ الْغَيْظِ لِلَّهِ، وَإِظْهَارُ الطَّلَاقَةِ وَالْبِشْرُ إِلَّا لِلْمُبْتَدِعِ وَالْفَاجِرِ، وَالْعَفْوُ عَنِ الزَّالِّينَ إِلَّا تَأْدِيبًا وَإِقَامَةُ الْحَدِّ وَكَفُّ الْأَذَى عَنْ كُلِّ مُسْلِمٍ أَو مُعَاهَدٍ إِلَّا تَغْيِيرَ مُنْكَرٍ وَأَخْذًا بِمَظْلَمَةٍ لِمَظْلُومٍ مِنْ غَيْرِ تَعَدٍّ»[1].

- قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ: «حُسْنُ الْخُلُقِ اخْتِيَارُ الْفَضَائِلِ وَتَرْكُ الرَّذَائِلِ»[2].

- قالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ: «حَقِيقَةُ حُسْنِ الْخُلُقِ بَذْلُ الْمَعْرُوفِ وَكَفُّ الْأَذَى وطَلَاقَةُ الْوَجْهِ.

- قالَ الْقَاضِي عِيَاضٌ – رحمه الله –: هُوَ مُخَالَطَةُ النَّاسِ بِالْجَمِيلِ، وَالْبِشْرِ، وَالتَّوَدُّدُ لَهُمْ، وَالْإِشْفَاقُ عَلَيْهِمْ، وَاحْتِمَالُهُمْ وَالْحِلْمُ عَنْهُمْ، وَالصَّبْرُ عَلَيْهِمْ فِي الْمَكَارِهِ، وَتَرْكُ الْكِبْرِ وَالِاسْتِطَالَةِ عَلَيْهِمْ، وَمُجَانَبَةُ الْغِلَظِ وَالْغَضَبِ وَالْمُؤَاخَذَةِ.

- وقَالَ بَعْضُ الْبُلَغَاءِ: الْحَسَنُ الْخُلُقِ مَنْ نَفْسُهُ فِي رَاحَةٍ، وَالنَّاسُ مِنْهُ فِي سَلَامَةٍ، وَالسَّيِّئُ الْخُلُقِ النَّاسُ مِنْهُ فِي بَلَاءٍ، وَهُوَ مِنْ نَفْسِهِ فِي عَنَاءٍ»[3].

اللهمَّ إنَّا نسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى.

[1] . انظر: جامع العلوم والحكم (١/٤٥٧ – ٤٥٨).

[2] . انظر: كشاف القناع للبهوتي (٦/٣١٠).

[3] . انظر: أدب الدنيا والدين للماوردي (ص: ٢٤٢).

اللهمَّ اهدنا لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت، واصرف عنا سَيِّئَها لا يصرف عنا سَيِّئَها إلَّا أنت.

اللهُم صَلِّ عَلَى مُحَمّدٍ وَأَزْوَاجِهِ وَذرَيتِهِ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَأهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمّدٍ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيتِهِ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ ابْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيد مَجِيد.